ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية

إعداد: د. مراد هوفمان
ترجمة: د. نديم بن محمد عطا إلياس

بسم الله الرحمن الرحيم

أولاً: تاريخ الترجمات

بدأ اقتراب اللغة الألمانية من القرآن الكريم مع أول ترجمة لمعانيه إلى اللغة اللاتينية عام ١١٤٣م في طليطلة. وقد يبدو هذا غريباً، إلا أن السبب هو أن أحد المترجمين اللذين قاما بهذه الترجمة كان الألماني (هرمان دلماتا). وقد تمت هذه الترجمة تحت رعاية الأسقف (بطرس المكرم) رئيس دير كلوني في فرنسا. إلا أن (مارتن لوثر) مصلح الكنيسة الرومانية ومؤسس المذهب البروتستانتي —كان هو السبب في ترجمة هذه المعاني من اللغة اللاتينية إلى اللغة الألمانية والسبب في طبعها لأول مرة عام ١٥٤٣م بعد مرور أربعمائة عام على الترجمة اللاتينية. وقد تم طبعها من قبل (ثيودوربيبلياندر) في مدينة بازل، ومنها نسخة مصورة في بيت القرآن بالبحرين.

لم يكن الخصم الأول لمارتن لوثر آنذاك هو الإسلام، بل كان خصمه بابا روما، وعدَّ الهجوم العثماني على مدينة فيينا عقوبة إلهية لمساوئ البابوية الرومانية. لم يتصور مارتن لوثر أن تصدر ترجمة لمعاني القرآن دون تعليق، وهكذا صدرت بالفعل طبعة بيبلياندر مشتملة على -٤/٥ من محتواها- نصوص إضافية لدحض رسالة الإسلام. منها تفنيد بقلم فليب ملانشتون، وتاريخ للمسلمين منحاز جداً، وبمقدمة لوثر. ووضع نص ترجمة المعاني بين فكي كماشة بهدف دحضه والقضاء عليه بزعمه. لقد كان طبع الترجمة الأولى حدثاً تاريخياً على المستوى الأدبي، إذ إنها وفرت المادة الأولية لترجمات أخرى

مثل ترجمة (أندريا أريفا بيني) (١٥٤٧م — البندقية) إلى الإيطالية والترجمة الألمانية لـ(سالومون شفايغر) (١٦١٦م– نورنبرغ) التي اعتمدت على الترجمة الإيطالية السابقة الذكر. وبدلاً من أن تؤدي مبادرة بطرس إلى تسويغ الحروب الصليبية وحفز همم المقاتلين الصليبيين، أدت هذه المبادرة بعد عدة قرون إلى نشر كلام الله في أنحاء أوروبا بكاملها.

شهدت ألمانيا صفحة تاريخية جديدة بطبع النسخة الأولى للمصحف الشريف عام ١٦٤٩م في مدينة هامبورج، ولا توجد نسخ مطبوعة من المصحف الشريف أقدم من هذه، مع أنه يقال إنه تمت طباعة مصحف عام ١٥٣٠م في مدينة البندقية، غير أن نسخها لم توزع.

وأحدثت الطباعة الأخرى التي قام بها المستشرق (غوستاف فلوغل) عام ١٨٣٤م في مدينة لايبتسغ بلبلة كبيرة بتبنيها ترقيماً للآيات يخالف الترقيم القاهري الذي يعدّ الآن مرجعاً في هذا الباب، ولا تزال آثار البلبلة هذه قائمة حتى اليوم عندما يُعزى إلى ترجمات القرن التاسع عشر التي استخدمت ذاك الترقيم.

زاد الاهتمام العام بالقرآن الكريم بشكل ملحوظ في ألمانيا في القرن السابع عشر عندما برزت الحاجة لحماية الإمبراطورية الألمانية أمام الهجمات العثمانية المتكررة التي وصلت طلائعها إلى مقاطعة بافاريا متجاوزة عاصمة النمسا فيينا التي هوجمت وحوصرت من قبل ١٥٢٩م. وكان الألمان يعدون الإسلام "ديناً تركياً" والقرآن (إنجيل الأتراك) وهكذا صدرت الترجمات الأولى بعد ترجمة (سالومون شفايغر) لتؤدي هذا الغرض المذكور، مثل ترجمة (يوهان لانغه) التي صدرت عام ١٦٨٨م في هامبورغ وقد اعتمدت على الترجمة

الفرنسية لـ(آندري دو راير) الصادرة عام ١٦٤٧م في باريس. ولم تعتمد حتى الترجمات المتأخرة مثل ترجمة (دافيد نرتر)عام ١٧٠٣م في نورنبرغ وترجمته (ثيودور أرنولد) عام ١٧٤٦م في ليمغو على النص العربي بل على الترجمة اللاتينية لـ(لودوفيكو مراتشيو) عام ١٦٩٨م أو على الترجمة الإنجليزية على التوالي.

صدرت أول ترجمة اعتمدت مباشرة على النص العربي عام ١٧٧٢م من قبل (دافيد فريدرش ميغرلين) في فرانكفورت تحت عنوان (الإنجيل التركي) ولحقتها مباشرة ترجمة (فردرش إيبرهارد بويزن) عام ١٧٧٣م في مدينة هلله. وكانت ترجمة ميغرلين هي تلك التي أثرت في الشاعر الفيلسوف الألماني يوهن فولفغانغ جوته تأثيراً بالغاً إلى درجة أنه أصبح من أوائل الدارسين الجادين المتعمقين للإسلام في ألمانيا، ويحتوي ديوانه (الديوان الشرقي) الذي كتبه عام ١٨١٩م –وهو عبارة عن حوار مع الشاعر الفارسي حافظ– كثيراً من الاقتباسات والإشارات القرآنية.

بالرغم من ذلك فإن ترجمة أخرى احتلت الصدارة في القرن التاسع عشر، وهي ترجمة الكاهن اليهودي (ليون أولمان) الصادرة عام ١٨٤٠م في مدينة كريفيلد.

وقد طبعت مراراً حتى عام ١٩٩٨م، إلا أن هذه الترجمة اليهودية –– كتلك التي قام بها الكاهن (لازاروس غولدشمت) الصادرة عام ١٩٢٠م في برلين، والتي أعيد طبعها عام ١٩٩٣م– غير موثوقة ومتسمة بعدائها السافر للإسلام، وليس لهاتين الترجمتين أي وزن لدى دارسي الإسلام أو المسلمين الناطقين بالألمانية.

وقد أكمل المستشرق الألماني الشاعر (فريدرش ريكارت) ١٧٨٨-١٨٦٦م تلك الحلقة المفقودة في الساحة الألمانية بترجمته المقفاة التي لم تستكمل لشديد الأسف. وقد نحا بنظمه الأدبي منحى لغوياً مراعياً الأساليب اللغوية للقرآن الكريم، مستخدماً في تلك الضرورات الشعرية الخاصة باللغة الألمانية، وتم إعادة إصدار هذه الترجمة مصورة، ولا تزال متاحة في السوق، وقد صدرت عام ١٩٩٥م بعد مراجعتها من قبل البروفسور (هارغوت بويزين). إلا أن إشكالية ترجمة ريكارت تكمن في أن الفواصل التي استخدمها في نهاية الجمل غير مستساغة في اللغة الألمانية، على عكس ما في اللغة العربية حيث تعد من ألوان البلاغة الراقية.

ثانياً: الترجمات المعاصرة

١-تعد الترجمة التي صدرت عام ١٩٠١م في لايتزغ بالاسم المستعار (ماكس هننغ) والتي قام بها على أغلب الظن أستاذ الاستشراق في جامعة كونجسبرغ المعروفة الآن بكالينيغراد البروفسور (أوغست مولر)، تعد هذه الترجمة بعد مرور مائة عام على صدورها أكثر الترجمات قبولاً لدى المسلمين الألمان. وربما دعا المترجم إلى إخفاء اسمه تخوفه السياسي من إظهار اهتمامه بالإسلام الذي كان يُرى في زمنه أنه دين قد انتهى دوره، وأنه في أنفاسه الأخيرة.

ولقد عبر هننغ في مقدمته حقاً عن توجسه من مستقبل الإسلام، وملأ حواشي ترجمته بالإسرائيليات المخالفة للإسلام. ولكنه تمكن بالرغم من ذلك من المحافظة على القرب الشديد من معاني القرآن الكريم ومبانيه بالدرجة التي كانت تسمح بها ظروف ذلك العصر. ولقد تجنب إثقال النص الألماني بصفات إضافية في حال عدم وجود كلمة ألمانية تفي بأبعاد الكلمة العربية؛ خشية الابتعاد عن أصل مبنى النص العربي، بل لقد استحدث هننغ بعض التعبيرات الألمانية –مقترحاً إياها– للتعبير عن بعض الكلمات العربية ذات المعاني العميقة أو المتعددة. غير أنه التزم بترجمة جميع الكلمات ترجمة موحدة حيثما وردت، بغض النظر عن السياق.

طبعت هذه الترجمة اثنتي عشرة مرة مع تنقيح للأستاذة (أناماري شمل) عام ١٩٦٠م وتنقيح لـ(كورت رودولف) عام ١٩٦٨م، ولا تزال تحظى بأفضلية لدى المسلمين كذلك. وقد حملتها معي لصغر حجمها عندما

حججت عام ١٩٩٢م وقمت بإصدارها في إخراجين مختلفين في إصطنبول بتركيا وفي ميونيخ بألمانيا، بالنص الألماني منفرداً وبالنص الألماني مقابل الأصل العربي، وذلك بعد العمل على تنقيحها أكثر من ثلاث سنوات.

اضطررت أثناء تنقيحي إلى تصحيح ترقيم الآيات وإلى تغيير اللغة من الأسلوب القديم المشابه للغة الإنجيل إلى اللغة الفصحى المعاصرة. كما قمت "بأسلمة" المتن والحاشية. وقمت بمطابقتها على سبع وعشرين ترجمة أخرى إلى الإنجليزية والفرنسية والألمانية والتركية لأرى ما إذا كان عالم مسلم واحد فهم آية معينة مثل ما فهمها هننغ، في هذه الحالة احترمت فهمه وأثبته، وإلا بحثت لأرى هل من إجماع إسلامي على هذا الفهم، وعندئذ قبلته، وعند غياب هذا وذاك رجعت إلى النص العربي والترجمة باحثاً عن سبب حدوث الخطأ. وغالباً —وليس دائماً- كنت أقبل فهم محمد أسد.

إضافة إلى ذلك قمت بإثبات تفسير مختصر مكان حواشي هننغ القصيرة المخالفة للإسلام، وذلك في ٧٤٤ موضعاً. وأضفت كشّافاً للمصطلحات، ومنها ما لم يرد في القرآن بنصه، غير أنه يعالج القضايا التي تدل عليها هذه المصطلحات، مثل الإجهاض والشذوذ الجنسي.

٢- تركت ترجمة هننغ آثاراً كثيرة في عدد من الترجمات اللاحقة، وبشكل خاص في ترجمة الأحمدية التي اعتمدت على الترجمة الإنجليزية لمحمد علي (١٩١٧م). وقد أصدر (صدر الدين) الطبعة الأولى عام ١٩٣٩م في برلين ثم نشرها (مرزا نصير أحمد) منذ عام ١٩٤٥م. وتعد هذه الترجمات محترمة على المستوى اللغوي، إلا أنها ليست مقبولة بسبب تعليقاتها الطائفية.

ويعد هننغ الأب الروحي لترجمة (عادل ثيودور خوري) القسيس

الكاثوليكي اللبناني الذي كان يدرس في جامعة منستر. وتحتوي هذه الترجمة في طبعتها الموسعة على ستين صفحة من مختارات الأحاديث وهذا الصنيع لا يوافق عليه المسلمون، خشية أن يختلط كلام الله بغيره.

ويظهر تأثير ترجمة هننغ بشكل واضح في أول ترجمة ألمانية قام بها مسلم سني (محمد أحمد رسول) وهو مصري يعمل إماماً بمدينة دسلدورف وكولن. وقد صدرت ترجمته تسع مرات حتى عام ٢٠٠٠م محتوية على النص العربي بالإضافة إلى الترجمة الألمانية، دون أي تعليق.

ويكمن ضعف هاتين الترجمتين إلى حد ما في كون اللغة الألمانية ليست هي لغة الأم للمترجمين المذكورين.

٣-وتوجه الأنظار إلى ترجمة أخرى تقارب شهرة ترجمة هننغ....فقد قام (رودلف بارت) المستشرق الألماني البارز بالعمل طوال حياته على ترجمة علمية للقرآن الكريم مع تفسير، وقد صدرا كل على حدة عام ١٩٦٦م. وقد خرجت ترجمة بارت دون مؤثرات خارجية وبشكل ذاتي. إلا أن هذه الترجمة لا تكاد تقرأ بسبب كثرة إضافات وشروح المترجم داخل أقواس تضم أقواساً أخرى بدلاً من وَضْعِها في حواشٍ أسفل نص الترجمة. وقد أدخل القارئ غير المتخصص في حرج كبير، إذ إنه يرى أن المترجم، ذلك البروفسور الكبير، لا يستطيع أن يستقر رأيه، على معنى واحد، وتفسير معين، فما بالك بالقارئ العامي؟ والأدهى من ذلك أن جمال النص القرآني وقوته البلاغية قد فقدت تماماً في تلك الترجمة الجافة الخالية من كل روح.

٤-إلى ما قبل سبعة عشر عاماً لم يكن في متناول يد المسلم الألماني سوى ترجمات غير المسلمين. وهذا وضع غير مرضٍ، بالرغم من أن جلال كلام الله

عزوجل وقوة رسالته قد شقت طريقها من خلال تلك الترجمات السيئة أو حتى الخاطئة.

إلا أن هذا الوضع السيئ قد تحول إلى الأحسن بفضل الله عزوجل، فأصبح هناك الآن – بالإضافة إلى تنقيحي الإسلامي لترجمة هننغ عام ١٩٩٩م- خمس ترجمات إسلامية أخرى صادرة أو بصدد الصدور:

أ–من مميزات ترجمة محمد أحمد رسول وجود النص القرآني مقابل الترجمة، مما يسهل مراجعة المعنى ومطابقته على الأصل. وقد أصر رسول على القرب من النص دوماً، وإن أدى ذلك إلى تصادم شديد مع اللغة الألمانية. فيثبت على سبيل المثال كلمتين ألمانيتين مقابل (ولكن) بالرغم من أن اللغة الألمانية لا تجمع بحال من الأحوال بين واو العطف ولكن. كما لا يستسيغ الأسلوب الألماني بدء الجمل بواو العطف.

إنَّ تأكيد المعنى بتكرار بعض الكلمات من جوانب البلاغة العربية كقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝﴾ (الفلق:٤) وقوله: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝﴾ (الزلزلة:١)، وهو غير مستساغ في الحس اللغوي الألماني، في هذه الحالات يعمد رسول إلى ترجمتها مراعياً خصائص اللغة العربية. وباختصار فإن ترجمة رسول وإن لم تكن ترجمة حرفية إلا أن قربها الشديد من اللفظ العربي القرآني يجعلها في كثير من الأحيان غير مستساغة في أذن السامع الألماني.

ومن ناحية أخرى من الضروري جداً إضافة تفسير وشروح لهذه الترجمة، وهذا ما ينوي المترجم القيام به فعلاً. سهل رسول الرجوع إلى ترجمته من خلال إصداره عام ١٩٩٣م معجماً بعنوان (لن تبور) في ١٢٥٩ صفحة،

وهو يحتوي على ١٦١٢ مصطلحاً شرحت بنصوص كاملة من ترجمة معاني الآيات. وهو يؤلف عوناً كبيراً لكل باحث ومحضر ويسهل عليه العثور على الشواهد المناسبة التي يمكن تصويرها والاستفادة منها في أي موضوع.

ب– بدأت مجموعة عمل مكونة من عشر مسلمات ألمانيات –خمس منهن من أصل ألماني وخمس من أصل عربي– عملها عام ١٩٧٦م في ترجمة مشتركة انتهت منها عام ١٩٩٦م. وكان من بينهن (فاطمة جرم – هيرن) و(حليمة كراوزن) و (إيفا الشباصي). وصدرت هذه الترجمة نتيجة يحمل نسائي ولكنه محافظ في خمسة مجلدات فخمة تحتوي على ٣٠٥٧ صفحة. ونشر هذه الترجمة الناشر المصري د.عبدالحليم خفاجي وتباع النسخة منها بـ٣٥٠مارك للنسخة (أي بما يعادل ١٧٥ دولار). يميز هذه الترجمة بالإضافة إلى لغتها الألمانية الرقيقة تفسير مفصل أخذ بشكل مباشر من تفاسير عبدالله يوسف علي ومحمد أسد وسيد قطب والدريابادي وابن كثير والمودودي والسيوطي وصديقي. وقد أمكن هنا التوفيق بين عدد كبير من وجهات النظر المختلفة في فهم القرآن بشكل مدهش، مع استبعاد التوجهين الصوفي والشيعي.

ويكمن ضعف هذه الترجمة في القدر الهائل من الأخطاء المطبعية الفاحشة بل المفجعة.

ج–أصدر (أحمد فون دنفر) مدير المركز الإسلامي في ميونيخ ورئيس تحرير المجلة الألمانية "الإسلام" ترجمته الألمانية دون نص عربي ومع شروح مختصرة اعتمد فيها على تفسيري الطبري والجلالين. وكان من المخطط أن تكون ترجمة ميسرة لكل أسرة، وبيعت الطبعة الأولى منها بسعر زهيد (حوالي ٧ دولارات)، إلا أن الطبعة الثانية المحتوية على النص العربي ارتفع سعرها إلى السعر المتعارف

عليه في الأسواق (حوالي ١٨ دولاراً). والتزم فون دنفر في ترجمته بالقرب من النص العربي التزاماً أشد، مما جعله يتعامل مع اللغة الألمانية بحرية أكبر من تلك التي مارسها محمد رسول. ويبدو ذلك في ترجمة المواضع التي يتحول الخطاب القرآني فيها من المخاطب إلى الغائب علي سبيل المثال كما في قوله تعالى : ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[١]. ويلتزم فون دنفر بحرفية الترجمة ويتجاوز بذلك قواعد اللغة الألمانية. لذلك يمكننا القول إن فون دنفر لم يترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية بل إلى مفردات ألمانية.

والأشد لفتاً للنظر ترجمة فون دنفر لبعض الكلمات المهمة بطريقة مخالفة للعرف. بل هي أقرب إلى البدعة، فهو يترجم الآية الثانية من سورة الإخلاص، قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ بقوله "الله الموجود دائماً"، ويترجم (الكرسي) في آية الكرسي من سورة البقرة بموضع القدمين[٢].

وباختصار فإن هذه الترجمة استثنائية تجاوزت حدود اللغة بشكل مبالغ فيه، مما لا يجعلها صالحة للدعوة.

د– أصدر (أمير زيدان) السوري الأصل، الرئيس السابق للجماعة الإسلامية في مقاطعة هسن عام ٢٠٠٠م ترجمة ألمانية غريبة، تتركز سمتها في أنها لم تترجم المصطلحات الرئيسة إلى اللغة الألمانية، بل لأثبتتها بأصلها العربي بأحرف لاتينية، مثل الآية، الإيمان، الدين، الحج، الحلال، الحرام، الحرمات، المشركون، المنافقون، الكافرون، الجنة، جهنم، الجن، القيامة، الرزق، الركوع، السجود،

---

(١) يشير بذلك إلى أن الفعل (آمنوا) مسند إلى ضمير الغائبين، والمنادى مخاطب.

(٢) وهو الصواب، وهو المعنى المروي عن ابن عباس رضي الله عنهما (اللجنة العلمية).

الصلاة، الطواف، الأمة، الزبور، الزكاة... وغير ذلك كثير.

يرجع رفض ترجمة هذه المصطلحات إلى اختصاص الإسلام بها وعدم وجود كلمات ألمانية مكافئة لها، ويمكن بالفعل نقل بعض المصطلحات الإسلامية كما هي إلى اللغات الأخرى مثل القرآن، الخليفة، الإسلام، المؤذن. إلا أن سلبيات هذا المنهج أن المسلم يمكنه قراءة ترجمة زيدان وفهمها لمعرفته بالمصطلحات الإسلامية غير المترجمة، إلا أن غير المسلم أو المبتدئ يصل إلى درجة الإحباط والشعور بأن هذه الترجمة تقف أمامه حائلاً دون الدعوة: إنها تحول الإسلام إلى دين الأجانب الغرباء، والأسوأ من ذلك أن المسلمين أنفسهم يجدون صعوبة في متابعة السياق في بعض المواضع وتبين المعنى المرادف للمصطلح نفسه في كل موضع.

إنني أرى أن مسؤولية المترجم تقع في الدرجة الأولى على اختيار الكلمة الألمانية المناسبة لذلك المصطلح في ذلك الموضع، ويشرح في الحواشي سبب اختياره معنى معيناً في موضع معين. يشذ زيدان في ناحية أخرى عن جميع ما مرّ بي من ترجمات للبسملة حيث تستخدم جميع الترجمات الألمانية تعبير (Im Namen) كما تستخدم الفرنسية تعبير (AuNom) بينما يستخدم هو تعبير (Mit Dem Namen) ويقابل ذلك بالعربية (مع اسم الله). ورأيه في ذلك أن التعبير المتعارف عليه قد يساء فهمه ويُظن أن المسلم يصنع هذا أو يقول هذا بتفويض من الله عزوجل ونيابة عنه. وأقرب ما يكون هذا الفهم ترجمة الشيخ حمزة بوبكر الذي يترجم البسملة بالفرنسية بـ(De par le nom).

هـ- قام مسلمان فاضلان آخران هما (د. نديم إلياس) رئيس المجلس الأعلى للمسلمين في ألمانيا، الطبيب السعودي المكي و(عبدالله بوبنهايم) الألماني المقيم

في عمان بترجمتهما الخاصة لمعاني القرآن الكريم. ويتميز هذا العمل المشترك بكون الترجمة باللغة الألمانية المتداولة، التي أعدها حسب ذوقي واقعية إلى حد ما. ويمكن حقاً نقد الأسلوب القديم المنمق القريب من التعبير الإنجيلي لدى ترجمات محمد أسد ويوسف علي ومحمد علي وبكثول، إلا أن ترجمات أخرى مثل ترجمة (جاك بيرك) تتهم بالمبالغة في استخدام الكلمات العقلانية التجريدية. ينبغي في الوقت نفسه ألا نقلل من روعة كلام الله عزوجل باستخدام اللغة العادية.

و- انتهى مسلم ألماني آخر قبل فترة طويلة من ترجمته الشخصية لمعاني القرآن الكريم، وهو (محمد أمان هوبوم) الذي يعد أقدم المسلمين الألمان إسلاماً وأكبرهم سناً، إلا أن تواضعه وورعه يمنعانه من نشرها. ولا يرى ضرورة إصدار شيء جديد تحت شعار (قد كفى ما كفى).

ثالثاً: الخاتمة

بعد حرب الخليج أصبحت ترجمات معاني القرآن الكريم على رأس قائمة الكتب المبيعة. ويجد الإنسان اليوم في كل مكتبة عدة ترجمات للمعاني. ومن مظاهر هذا الانتشار طلبُ أحد نوادي الكتب الكاثوليكية عام ٢٠٠٠م ما لا يقل عن خمسة آلاف نسخة من الترجمة الألمانية لمعاني القرآن الكريم التي قمت بمراجعتها.

توجد الآن -كما ذكرنا سابقاً- عدة ترجمات للمعاني تشبع كل رغبة ومذاق منها خمس ترجمات من قبل مسلمين سنيين، وهذا التنوع كافٍ ومشجع لكل مسلم لإعادة قراءة معاني القرآن الكريم من وجهات نظر مختلفة، قديمة وحديثة، دون أن تستوعب جميع معاني كتاب الله عزوجل. وأصبح كثير من النصارى يدركون أن أصالة القرآن الكريم تفوق بشكل كبير ما لديهم من كتب مقدسة، وأن القرآن الكريم بلا ريب الكتاب الوحيد الذي يعلو على كل شك.

وإن الجهود العظيمة التي يبذلها مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة النبوية في خدمة كتاب الله عزوجل لهي جهود نبيلة مشكورة.

الفهرس